القوى السياسية وموقفها من الحكم الإنجليزي داخل أيرلندا منذ عام ١١٧٢م إلى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي

دكتوره
نجلاء حسين محمد توفيق
أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب – جامعة أسيوط

ملخص:

يهدف هذا البحث بنحو رئيس إلى مناقشة قضية الاستعمار وفرض القوة من قبل التاج الإنجليزي والنبلاء الإنجليز على أجزاء واسعة من أراضي جزيرة أيرلندا خلال فترة الدراسة (١١٧٢-١٤٠٠م)، ورد الفعل الأيرلندي وخاصة من قبل القوى السياسية على المستويين الملكي وكذلك النبلاء الأيرلنديين تجاه الحكم الإنجليزي ومطامعه في أراضي وخيرات أيرلندا، المبنى على المصالح الخاصة في المقام الأول، ثم المصالح القومية في المقام الثاني، وكذلك التعرض للموقف الشعبي في أيرلندا ومساندته لتحركات القوى السياسية في مقاومة الحكم الإنجليزي، والحد من توسعاته في أراضيهم. واعتمد البحث على المنهج التاريخي من خلال السرد والتحليل؛ وذلك من خلال الاعتماد على العديد من المصادر المعاصرة قريبة الصلة من موضوع البحث، وفي مقدمتها المصادر الأيرلندية والإنجليزية.

كلمات دالة:

أيرلندا – الحكم الإنجليزي – النبلاء – المقاومة – دبلن.

Abstract:

This research aims primarily to discuss the issue of colonization and the imposition of power by the English crown and English nobles over large parts of the island of Ireland during the study period (1172-1400 A.D.), and the Irish reaction, especially by the political forces at the royal level as well as the Irish nobility towards English rule and its ambitions for the lands and wealth of Ireland, based primarily on private interests, and then national interests in the second place, as well as addressing the popular position in Ireland and its support for the movements of political forces in resisting English rule and limiting its expansion in their lands. The research relied on the historical method through narration and analysis; by relying on many primary sources closely related to the research topic, most notably Irish and English sources.

Keywords:

Ireland – the English rule – nobility – Resistance – Dublin.

مقدمة:

أيرلندا Ireland – *أرين Eireann أو هبرينيا Hibernia* – وتعني الجزيرة الخضراء، تقع في الشمال الغربي من قارة أوربا، وعلى وجه التحديد تقع إلى الغرب من بريطانيا، ومن ثم فهي تمثل ثاني أكبر الجزر البريطانية بعد الكتلة الرئيسية التي تضم كل من إنجلترا وويلز وأسكتلندا، يحدها من الشرق البحر الأيرلندي، ومن الغرب والشمال والجنوب المحيط الأطلنطي، وتقترب مساحتها من نصف حجم الجزر البريطانية تقريبًا[١].

ومن ناحية التضاريس فيحدق بسواحل هذه الجزيرة الكثير من الصخور الطباشيرية التي تحول دون سير السفن ناحية الشواطئ الشرقية –*وهو ما يفسر توقف المد الروماني عند الحدود الغربية لبلاد الغال، دون التقدم ناحية أيرلندا، كما سيأتي ذكره*– مع وجود عدد من الألسنة والموانئ وخاصة على الحدود الشمالية، التي تمثل معبرًا إلى الداخل الأيرلندي، أما في الداخل فيوجد عدة سلاسل جبلية، مثل جبال دونيجال Dungloe في الشمال الغربي وجبال دون Dun في الشمال الشرقي، وجبال كري Kerry في الجنوب الشرقي، ويوجد بأيرلندا عدد من الأنهار مثل نهر شانون Shannon، وهو أطول أنهارها، حيث يبلغ طوله (٢٥٠) ميل، ويصب في المحيط الأطلنطي، علاوة على أنهار نبدون ولي وبلاكوتروبوين وليفي وسوير وبرو وسلان وغيرها، وبالإضافة إلى ذلك فقد تمتعت أراضي أيرلندا بالعديد من الموارد الطبيعية؛ مثل الفحم الحجري والنحاس والرصاص والفضة[٢].

هذا ويتنوع المناخ داخل أيرلندا؛ نتيجة وقوعها ضمن الكتلة الشمالية الغربية من أوروبا، علاوة على تنوع التضاريس بداخلها، ومن ثم فهو ما بين الاعتدال في مناطق، وشديد الأعاصير كثير التقلب والتغيرات السريعة وشديد البرودة في مناطق أخرى، ويغطي الضباب معظم أراضيها، فهو محمل بالسحب والغيوم، ومن ثم يكثر المطر في المناطق المرتفعة، ويقل نوعًا ما في المناطق السهلية. أما عن الرياح فهي غربية أو جنوبية غربية، ومن ثم كان لهذا المناخ أكبر الأثر على النشاط السكاني للجزيرة؛ إذ دفعهم على كثرة الحركة والنشاط، من أجل توفير سبل الحياة، هذا وقد أدت غزارة الأمطار وشدة البرودة مع فقر التربة وصلابة الأرض في الغرب والشمال الغربي إلى تجمع سكان أيرلندا في الجنوب الشرقي منها، وقد ساهم ذلك بالإضافة إلى اعتماد السكان على الخارج في الغذاء والمواد الخام؛ أن أصبحت الأجزاء البحرية المجاورة لها أهم الأجزاء المحيطة بالجزر، ومنها وصلت غزوات الفيكنج النرويجيين والدانيين

ثم النورمان فيما بعد، ويلاحظ أن معظم الغزاة والهجرات السكانية التي قدمت إلى أيرلندا جاء إليها عن طريق المحيط الأطلنطي، ساهم ذلك في نقل الحضارة الأوروبية إلى تلك الجزيرة[٣].

ومن ثم فإن التكوين الجغرافي لدولة ما –*أيرلندا في هذه الحالة* – هو مفتاح تاريخها في عصورها الغابرة ودليل استقرارها المبكر، ولما كان العالم المعروف آنذاك يتمحور حول مركز عالم البحر المتوسط فقد ظلت الجزر البريطانية بما فيها أيرلندا واقعة على هامش العالم حتى العصور الوسطى، ولم يكن معروفًا منها إلا الجزء المواجه للقارة الأوروبية، لذا أطلق عليها اسم "ألبيون" "Albion"، وهو اسم الحافات الطباشيرية التي تقع في الجزء الذي كان معروفًا، ولهذا ظلت أيرلندا حتى ذلك الوقت بلادًا مجهولة، وفي الوقت الذي يرى فيه البعض أن أول تعمير لأيرلندا يعود لزمن الهجرة المعروفة بـ "الهجرة البيكرية" "Beaker Folk"؛ حين قصدها المهاجرون الأوائل القادمون من أوربا الشمالية حوالي ٢٠٠٠ ق.م، يرى البعض الآخر أن أقدم حضارة وصلت إلى تلك الجزر بين عامي ٢٥٠٠ و ٢٠٠٠ ق.م هي "الحضارة الميجاليثية" "Megalithie culture"، الواردة من حوض البحر المتوسط عبر المحيط الأطلنطي، على يد الملاحين المهاجرين، ومنهم "الأيبيريين" "Iberian"، حيث انتشرت تلك الحضارة على شواطئ البحر الأيرلندي، أما ثالث الهجرات القديمة فتتمثل في هجرة شعوب "الكلت" "Celt"، حوالي عام ٦٠٠ ق. م.، وأصلهم من أواسط آسيا، هاجروا إلى أوربا حتى استقروا في فرنسا وشمال إيطاليا وشمال غرب ألمانيا والأراضي المنخفضة، ومنها إلى استيطان الجزر البريطانية، ومن بينها جزيرة أيرلندا، ومن ثم فإن أيرلندا كانت مأهولة منذ العصور الأولى بأقوام عدة؛ ومنها الشعوب الكلتية[٤].

وعلى حد قول المؤرخ هـ. أ. ل. فشر[٥]: "فالواقع أن جزيرة أيرلندا تعرضت للغزو مرة تلوا الأخرى، وبالرغم من ذلك فلم يستطع أحد الغزاة أن يخضعها لحكمه لفترات طويلة، ولذلك لم يحن للأيرلنديين فرصة يبنون فيها حضارة مستمدة من وحي تفكيرهم وشعورهم، ولم تحملهم حادثة من الحوادث على الرضوخ لأجنبي يكون أكثر منهم قوة وأحسن ثقافة؛ لذا ظل هذا الشعب يطوى القرون تلوا القرون من تاريخه وأيرلندا لا يقربها إلا أشباه الفاتحين".

فمن المعروف أن الرومان لم يتمكنوا من فرض سيطرتهم الكاملة على كل الجزر البريطانية، وأكتفوا ببسط نفوذهم وحكمهم على الأجزاء الشرقية الجنوبية (إنجلترا) علاوة على أجزاء من بلاد الغال (ويلز)، في الوقت الذي استعصى عليهم غزو أسكتلندا وكذلك غزو

أيرلندا، حيث توقف الغزو الروماني الذي قصد أيرلندا عند جزيرة أنجلسي Anglesey في غرب بلاد الغالي (ويلز)، وذلك بعدما رأي الرومان أنه ليس من الحكمة أن يعبروا البحر الأيرلندي، وذلك لأسباب عدة؛ منها" عدم بعدهم عن مركز تواجدهم في إنجلترا، وكذلك للمقاومة التي واجهوها في بلاد الغال، وأيقنوا أنهم سوف يلاقوا أشد منها في إيرلندا[٦].

وبالرغم من أن عدم تواجد الرومان في أيرلندا كان من سوء حظها، حيث يذكر البعض أن أيرلندا عاشت في عزلة عن العالم، حرمت من أن يكون بها شبكة من الطرق الرومانية، وكذلك فلم تنعم الجزيرة بالسلام الروماني؛ إلا أن هناك الكثير من الأدلة التي تثبت أن الأمر لم يكن كذلك، فقد كان هناك روابط متبادلة بين أيرلندا والرومان، حيث خدم رجال من أيرلندا ضمن الجحافل الرومانية، كذلك كان هناك اتصالات ثقافية وتجارية بين الأيرلنديين والرومان[٧].

ومن ثم ففي حالة التوافق مع الرأي المنادي بوجود عزلة تامة لأيرلندا عن الحضارة الأوروبية في ذلك الوقت؛ فقد ساهم عدم تمكن الرومان من ضم أيرلندا للإمبراطورية الرومانية في استمرار تلك العزلة حتى انتشار الديانة المسيحية، التي جعلت من أيرلندا جزيرة القديسين والعلماء، حيث بدأ انتشار المسيحية في أيرلندا خلال القرن الخامس الميلادي، ويذكر أن البابا كالستين الأول Celestine I (٤٢٢-٤٣٤م) قد أرسل مبعوثًا يسمى بلاديوس Palladius إلى أيرلندا ليكون أول أسقف لها، ومع ذلك فإن الفضل في انتشار المسيحية الغربية في أيرلندا بشكل واسع وفعلي يعود إلى القديس باتريك Patrick S$_T$.[٨]، الذي خلف الأسقف بلاديوس داخل أيرلندا عام ٤٣٢م، ثم قام بتأسيس أسقفية أرماغ Armagh في الشمال الشرقي عام ٤٤٥م، ومن ثم أصبحت أيرلندا قاعدة لإرسال المبعوثين التبشيريين إلى ممالك بريطانيا بصفة خاصة ومختلف الأرجاء الأوروبية بصفة عامة[٩].

هذا وقد أكسبت الديانة الجديدة (المسيحية) أيرلندا وشعبها حوافز روحية جعلت منهم أول أنوار الثقافة المسيحية في أظلم مراحل التاريخ الأوروبي، وبالرغم من ذلك فمن الملاحظ في التاريخ الأيرلندي أن تقدم البلد الحضاري لم يصحبه تقدم سياسي؛ إذ كانت أيرلندا مقسمة إلى عدة مناطق قبلية متنافسة، الأمر الذي سهل مهمة الغزاة، الذين أتوا بعد ذلك، فخلال هذه الفترة المبكرة كانت العشائر والقبائل الأيرلندية (منتظمة) تعيش بشكل مفكك في ظل مملكة المقاطعات الخمسة، كل من: أولستر Ulster ومنستر Munster وكونوت Connaught ولينستر Leinster وميث Meath، وقد تشاركوا في حكم الجزيرة؛ نظرًا لأن هؤلاء الملوك لم يمارسوا

السلطة الكاملة على زعماء قبائلهم، ومن ثم كانت فقد كانت طاعة القبائل للملوك طاعة إسمية، الأمر الذي تسبب في خلق فترة من عدم الاستقرار والحروب الداخلية استمرت حتى بداية القرن السادس الميلادي[١٠].

فكما سبق فإن انتشار المسيحية داخل أيرلندا ترتب عليه خلال القرن الخامس الميلادي ساهم في انتقال الرهبنة إليها، ومن ثم انتشار الأديرة بين ربوعها، الأمر الذي جعل أيرلندا تعيش فترة العصر الذهبي خلال الفترة الواقعة بين عامي ٥٠٠ و٨٠٠م، حيث اتجه الأيرلنديون نحو ارسال بعثات تبشيرية من الرهبان إلى كل من أسكتلندا وإنجلترا وويلز وكذلك إلى ألمانيا، وبالتالي فقد ساعد ذلك على ازدهار أيرلندا بالحضارة والعمران خلال تلك الفترة، في الوقت الذي كانت أوربا تعاني من هجمات الجرمان الأوائل، ولهذا سميت أيرلندا بجزيرة القديسين والعلماء، ثم أصبحت قاعدة لإرسال المبشرين إلى مختلف الأرجاء الأوروبية[١١].

هذا ولم تنعم أيرلندا طويلًا بهذا الاستقرار، فقد قاست أيرلندا أكثر من غيرها في المرحلة الأولى من مراحل اغارات الفيكنج، إذ عجز ملوكها عن حماية رعاياهم، في الوقت الي كانت مدن الجزيرة وأديرتها مكشوفة دون أسوار حجرية تحميها وتدفع عنها شر المغيرين، فمع نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الميلادي كانت على موعد مع غزوات الفيكنج المتوالية، حيث هاجم النرويجيون منطقة سليجو Sligo في الشمال الغربي عام ٨٠٧م، ثم نجحوا في الوصول إلى داخل البلاد عند منطقة روسكومون Roscommon، ثم هاجموا منستر عام ٨١١م، وكذلك جزيرة هوث Howth قرب دبلن عام ٨٢١م، وهكذا أحاطت أساطيل الفيكنج بأيرلندا، ولم يكد يأتي عام ٨٣٤م إلا وكان الفيكنج قد أوغلوا داخل الجزيرة بحيث لم تنج ناحية من هجماتهم، وبالرغم من أن المقاومة العنيفة التي أبدتها القبائل الأيرلندية حالت دون استيلاء الفيكنج على الجزيرة بأكملها؛ إلا أن الفيكنج أقاموا عدة مراكز لهم وقاموا بتحصينها في كل من دبلن Dublin ووترفورد Waterford وليميريك limerick ووكسفورك Woaxford، وبالتالي فقد أرخى ليل الجهالة سدوله علي أيرلندا مرة أخرى، ولم تعد مصدر النور والعرفان طوال تلك الفترة، فأيرلندا كغيرها من بلدان الغرب الأوروبي تعرضت لهجمات الفكينج، التي كانت موجهة ضد كل ما هو حضاري، وضد كل ما اتسمت به حياة المجتمع الأيرلندي من نور وبهاء[١٢].

ومع قدوم الدانيين إلى الجزيرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي بدأ الصراع فيما بينهم وبين النرويجيين حول السيطرة على أيرلندا، في الوقت الذي استمر فيه الأيرلنديون في مقاومة هجماتهم، وأنزلوا بالشماليين أولى الضربات الكبرى عند منطقة تارا Tara عام ٩٨٠م، ثم نجحوا في هزيمتهم مرة أخرى عام ١٠١٤م عند منطقة كلونتارف Clontarf، الأمر الذي ساهم في انهاء شوكة الفيكنج داخل أيرلندا، وأخذوا يندمجون بين ثنايا الشعب الأيرلندي[١٣].

ومنذئذ بدأت المتاعب الحقيقية للغالبين والمغلوبين، إذ أضحى الغالبون أصحاب الأراضي الأيرلندية، وتزوج كثير منهم نساء أيرلنديات، كما تعلم معظمهم اللسان الأيرلندى وانطبع أولئك الغالبون آل بتلر، وفتز جرالد ، ودى كورسيه، ودى بره بطابع ما حاطهم من مناظر أيرلندا وأنغامها وبيئتها، وأخذوا يصطبغون بصبغة الأيرلنديين؛ وبذا تكررت القصة القديمة التي تقول بأن الغالب يغدو أحياناً أسيراً للمغلوب. أما أيرلندا القديمة وأهلها المغلوبون، فظلت على حالها وقوانينها كما كانت قديماً. من حيث العرف والعادات القبلية؛ وبقى الأيرلنديون على لغتهم وأدبياتهم، تحدوهم بقية بغيضة من الوحشية والهمجية – أى أن أيرلندا بقيت حية، برغم ما ذهب، عنها من عنجهيتها القديمة، بعد أن أضحت خاضعة للأنجلو – نورمانيين. غير أن أولئك الأنجلو – نورمانين لم يستطيعوا أن يغيروا شيئاً من صفات الأيرلنديين، بل كان أقصى ما استطاعوا أنهم أصبحوا في أيرلندا طبقة أرستقراطية، لا هي إنجليزية كأصلها ولا أيرلندية يحكم بيئتها، بل خليط وسط في صفاته ومكانته بين الاثنين. واشتهرت هذه الأرستقراطية الأيرلندية بكثرة الاضطراب الفكري، وكثرة التغيب عن أيرلندا، كما اشتهر ملوك إنجلترا بعدم الاهتمام بهذه الجزيرة الخضراء، ما عدا رتشارد الثانى الذى عزم على معالجة شؤونها في شيء من الجد. ومنشأ ذلك الموقف الذى وقفه ملوك إنجلترا من أيرلندا وقتذاك أن سكانها من المتوطنين الإنجليز، والتجار فى الثغور، والأرستقراطيين الأنجلو – أيرلانديين أصحاب الأراضي، والأيرلنديين الوطنيين القبليين، عاشوا منفصلين بعضهم عن بعض تمام الانفصال، ولم يكن باستطاعة أداة سياسية – بالغة ما تبلغ من الحكمة والسداد – أن تجعل من تلك العناصر المتنافرة مزيجاً قادراً على التآلف والاستقرار والانسجام.

١ – القوى السياسية داخل أيرلندا وموقفها من الغزو الإنجليزي حتى عام ١١٧٢م:

لم تستمر مملكة أيرلندا على وتيرة واحدة من ناحية الاستقرار السياسي؛ ويأتي ذلك – *كما مر بنا* – نتيجة لكثرة الهجرات والغزوات التي جاءت إليها من شعوب وأجناس مختلفة،

وعلى مدار ذلك كانت القبائل الأيرلندية وشعوبها تقف أمام تلك الغزوات وتقاومها بشدة، ولم تستلم لسياسة الأمر الواقع، التي حاول الغزاة فرضها على مدار الموجات المختلفة التي قصدت الاستيلاء على جزيرة أيرلندا، ولعل طول الفترة التي استغرقتها هجمات الفيكنج الأخيرة على تلك الجزيرة من نهاية القرن الثامن حتى بداية القرن الحادي عشر الميلادي لم يكن السبب الرئيسي فيه هو الصراع الذي دار بين عناصر الفيكنج المختلفة، التي غزت تلك الجزيرة، سواء النرويجيين أو الدانيين، بل يعود للمقاومة المستمرة التي بذلها قادة وشعوب أيرلندا في سبيل التحرر والاستقلال وطرد أعدائهم، أو اجبارهم على الذوبان بين طيات المجتمع الأيرلندي.

ومع بداية النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي كانت إنجلترا بصفة خاصة وبريطانيا بما فيها أيرلندا بصفة عامة على موعد مع فاتح جديد؛ والمتمثل في الفتح النورماني لإنجلترا عام ١٠٦٦م[١٤]، الذي غير معالم تاريخ الجزر البريطانية، ومثل بداية لعصر جديد من داخل تلك المنطقة من الغرب الأوروبي، حيث دلّ النورمانيون كما هو معروف على أنهم بالمقارنة مع غيرهم أقدر الأجناس الفاتحة على تنظيم الفتوح وتحويلها إلى مراكز حضارية، وفيما يتعلق بأيرلندا فإن الفتح النورماني لإنجلترا كان حادث شاءت المقادير أن يكون ذا أثر في مصير الشعب الأيرلندي، حتى وإن كان الفتح النورماني لأيرلندا نفسها واستيلاء الإنجليز عليها قد تأخر لما بعد ذلك بما يزيد على قرن من الزمان، حيث لم يلتفت النورمان نحو غزو أيرلندا حتى ذلك الوقت؛ وذلك لاهتمامهم بإنجلترا نفسها، وكذلك بأملاكهم داخل فرنسا في كل من نورمانديا وأنجو، هذا علاوة على توجيه أنظارهم ناحية فتح جزيرة صقلية[١٥].

والواقع أن الانقسام والحروب الأهلية التي عاشتها أيرلندا خلال القرن الثاني عشر الميلادي كانت سببًا في تمزيق وحدتها؛ الأمر الذي مهد لقدوم الإنجليز وتفكيرهم في ضم أيرلندا لإمبراطورية البلانتاجينت "Plantagenet"[١٦] الإنجليزية، خلال النصف الثاني من هذا القرن.

فكما سبق فإن أيرلندا خلال تلك الفترة كانت مقسمة إلى عدة ممالك كبرى، تضم بين ثناياها عدة ممالك أقل شأنًا، تنتقل السيادة الاسمية عليها لحكام تلك الممالك الكبرى، فمع بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر كان هناك صراعًا حول السيادة على كل الشعب الأيرلندي بين عدد من الطامعين في عرش أيرلندا، ومنهم موركيرتاك ماك لوجلين

"Muirchertach Mac Loughlin" ملك سينيل ن إيوجين "Cenél nEogain" وتورلوج أوكنور "Turlough O'Connor" الملك الأعلى لأيرلندا وكذلك درموت ماك مورو "Dermot Mac Murrough" ملك لينستر، وأخيرًا القائد تيجيرنان أو رويرك Tigernán Ua Ruairc، حيث انشق الأخير على أوكنور، وقاد ضده هجومًا وحشيًا، حيث أغار على منطقة لوج لونج "Lough Long"، وأحرق سفن أوكنور الراسية هناك، وقتل طاقمها، ونجا أوكنور من ذلك بصعوبة، بعد انهيار جيشه[١٧].

وردًا على ذلك وفي عام ١١٥٠م رتب أوكنور مؤامرة لقتل أو رويرك، وذلك عندما التقيا في منطقة شانون "Shannon"، وعقب فشل تلك المؤامرة ترتب على ذلك الاعتراف بالسيادة على أيرلندا لماك لوجلين من قبل أوكنور، الأمر الذي ساهم في اتحاد كليهما في جيش مشترك مع كل من أوروروبك أو مالكيليان ملك ميث Meath ودرموت ملك لينستر ضد تارلو أوبراين ملك مونستر، الذي هزم أمام ها التحالف في معركة تعد من أكثر المعارك دموية في ذلك الوقت، وهي معركة موين مور "Móin Mór" بالقرب من جلانمير "Glanmire" في منطقة كورك "Cork"، ولعل المستفيد الأكبر من هذا الانتصار هو ماك لوجلين، الي تأكدت هيمنته على أيرلندا، وفرض كلمته على غالبية الملوك والقادة آنذاك، وخاصة عقب وفاة تورلو أوكنور عام ١١٥٦م عن عمر يناهز ثمانية وستين عامًا، وقد حاول نجله روري "Rory" على مدار العشر سنوات اللاحقة على وفاة أبيه وحتى عام ١١٦٦م أن يسترد سلطة أبيه؛ خاصة وأن هذه الفترة شهدت تحولًا استراتيجيًا في تحالفات القوة داخل أيرلندا، ففي الوقت الذي تقاربت فيه وجهات النظر بين كل من ماك لوجلين و درموت ماك مورو؛ كان هناك تحالفًا بين كل من روري نجل تورلو مع أورورك، حيث سعى روري من خلال تحالفه مع أورورك في عزل لوجلين؛ إلا أنه منى بهزيمة كبيرة عام ١١٥٩م، وبالرغم من ذلك فإن السياسة التب اتبعها لوجلين ضد كل منافسيه ترتب عليها خلق جبهة قوية معادية ضده؛ انتهت بهزيمته وقتله في معركة ليتير لوين "Leitir Luin" عام ١١٦٦م، وانتقلت السيادة والسيطرة داخل أيرلندا إلى روري، الذي استطاع أن يؤمنها، الأمر الي أشعل الصراع فيما بينه وبين درموت ماك مور ملك لينستر[١٨].

ولم يقتصر العداء والنزاع الذي واجهه درموت على منتزع السيادة روري، بل تخطى الأمر ذلك، حيث استغل تيرنانا أورورك تلك الفرصة للانتقام من درموت، وفي الوقت نفسه

تحالفت ضده مقاطعات دبلن ووترفورد وأوسوري "Ossory" وكذلك رؤساء المناطق في شمال لينستر مقر حكم درموت نفسه، وعندما قام تيرنان بغزو مقاطعة لينستر انفض الجميع من حول درموت، الأمر الذي اضطر معه الأخير إلى التفكير بشكل عملي، فلم يجد امامه سوى طلب المساعدة من الإنجليز، من أجل العودة إلى مقر حكمه من جديد، وعلى هذا فقد مزقت الحروب الأهلية وحدة أيرلندا السياسية، ومهدت الطريق نحو استقبال غازي جديد[١٩].

هذا وقد سبق بداية القدوم الإنجليزي إلى أراضي أيرلندا خلال تلك الفترة تلبية لدعوة درموت – حسب *بعض الروايات*– أنه في عام ١١٥٥م قام الملك هنري الثاني بعقد مجلسًا في وينشستر "Winchester" لمناقشة غزو أيرلندا؛ وذلك بعد دعوة من قبل البابا هادريان الرابع موجهة لملك إنجلترا هنري الثاني، من أجل فتح أيرلندا وإصلاح كنيستها وشعبها، غير أن اعتراضات الملكة ماتيلدا والدة الملك هنري الثاني تسببت في تأجيل المشروع لحين إشعار آخر[٢٠].

وفي الواقع أن الأسباب الحقيقة التي شغلت هنري الثاني عن القيام بمشروع غزو أيرلندا تكمن في انصرافه نحو تدبير شئون إمبراطوريته المترامية الأطراف، وخاصة في فرنسا، علاوة على خشيته من ايقاع الجيش الإنجليزي في مستنقع لا يأمنه، خاصة وأنه على دراية بطبيعة أيرلندا الجبلية، وطبيعة شعبها، الذي لا يرضخ للغزاة، ومن ثم فقد قام على تنفيذ ذلك المشروع بعض المغامرين من الأنجلو–نورمانيين، إشباعًا لروح المغامرة والشجاعة، الأمر الذي ترتب عليه عدم نجاح الإنجليز – كما سيأتي ذكره – في فرض السيطرة الكاملة على الأراضي الأيرلندية[٢١].

وعلى أية حال تسببت الفوضى التي حلت بالأراضي الأيرلندية في هروب درموت إلى إنجلترا حيث بلاط الملك هنري الثاني، يطلب منه المساعدة، إلا أن الأخير ورغم موافقته على العرض رفض أن يتدخل بشكل رسمي من قبل التاج الإنجليزي، وطلب من درموت أن يقوم بالدعوة إلى ذلك بنفسه داخل الأراضي الإنجليزية، حيث قدم له درموت يمين الولاء والإخلاص، وفي المقابل أعطاه الملك هنري الثاني خطابات موجه للبارونات الإنجليز في ويلز، يخبرهم من خلالها أنه استقبل درموت في بلاطه، وأنهم مطالبين متى استقبلوا هذه الرسائل أن يقوموا بمساعدته في استعادة أراضيه نيابة عنه، ومن ثم توجه درموت إلى جنوب ويلز؛ طالبًا النجدة من أحد البارونات النورمان ويدعى ريتشارد دي كلير "Richard de

"Clare"، والملقب باسم سترنجبو "Strongbow" أيرل بيمبروك "Pembroke"، وتعني صاحب القوس المنيع، الذي لبى الدعوة بعد أن أذن له بها الملك هنري الثاني، ويعد سترنجبو أكثر اللوردات النورمان تشددًا على طول الحدود الويلزية الذين نجح درموت في تجنيدهم[٢٢].

حيث تم عقد اتفاق بين كل من درموت وسترنجبو، تزوج على إثره الأخير من إيفا "Eva" ابنة درموت، واتفق مع عدد من البارونات، وعلى رأسهم اثنين من كبار القادة الويلزيين وهم موريس فيتزجيرالد "Maurice Fitzgerald" وروبرت فيتزستيفين "Robert Fitzstephen"، حيث قاد الأخير بداية الهجوم على الأراضي الأيرلندية، وقاد جيشًا من المتطوعين المغامرين، قدرت أعدادهم بمائة فارس وستمائة من الرماة، وعبر بهم البحر الأيرلندي، قاصدًا ويكسفورد، وانضم إليه درموت وقواته، وبعد عدة مناورات استسلم بعدها أهالي ويسكفورد وسلموا المدينة إلى فيتزستيفين ودرموت، ومن ثم كان ذلك بداية استعادة الخير لأراضيه داخل أيرلندا، وفي المقابل كان عليه تنفيذ اتفاقه مع النورمان بتوزيع الأراضي عليهم، واستغل درموت هذا النجاح في بسط سيطرته على كامل أيرلندا، في الوقت الذي هادنه العديد من قادة أيرلندا، ومنهم رودريك أوكونور "Roderick O'Conor" ملك مقاطعة كونوت "Connaught"[٢٣].

وتمثلت الخطوة التالية في قدوم سترنجبو نفسه إلى أيرلندا في صيف عام ١١٧٠م، مع قوة قدرت بثلاثة آلاف مقاتل، ونزل في ميناء ووترفورد، وانضمت إليه قوات درموت، ونجح في هزيمة التحالف الأيرلندي حيث نجح في احراز العديد من الانتصارات على الأمراء المحليين، اللذين كان على رأسهم رودريك أوكونور، ومن ثم سيطر بعدها على مقاطعة ووترفورد، ثم تحول لحرب الدانيين في دبلن، ونجح في هزيمتهم، والاستيلاء على المدينة، وفي العام التالي (١١٧١م) توفى درموت، الأمر الذي شجع رودريك لمهاجمة النورمان في دبلن، إلا أنه مني بالهزيمة على أيديهم[٢٤].

وعقب ذلك قرر ملك إنجلترا هنري الثاني التحرك بنفسه تجاه أيرلندا في شهر أكتوبر من عام ١١٧١م، عقب استتباب الأمن داخل ممتلكاته في فرنسا، فقاد جيشًا مكونًا من عشرة آلاف مقاتل واتجه ناحية دبلن، وكعادته حاول رودريك اوكونور جمع كلمة الأيرلنديين لمواجهة هذا الغزو الحاشد، حيث جمع جيشًا يقرب من عشرين ألف فارس، إلا أن هنري الثاني نجح في التصدي له ولقواته، بعدما انضم إليه البارونات النورمان بقواتهم وعلى رأسهم

سترنجبو، وامام ذلك استسلم العديد من القادة الأيرلنديين وفي مقدمتهم رودريك، وقام الملك هنري بتوزيع الأملاك والأراضي على القادة النورمان، فأعطى هوج دي لاسي Hugh de. Lacy مقاطعة ميث Meath، وأعطى سترنجبو مقاطعة لينستر فيما عدا مدينة دبلن، وكذلك حصل حنا دي كورسي John de Courcey على مقاطعة أولستر Ulster علاوة على منطقة كبيرة في الشمال الأيرلندي، وتوج ذلك كله بأن أطلق على نفسه لقب لورد (سيد) أيرلندا، ثم عين هنري دي لاسي حاكمًا عامًا على المناطق التي سيطر عليها الإنجليز في أيرلندا، وربما يأتي ذلك لخوف هنري من زيادة نفوز سترنجبو، الأمر الذي من الممكن معه قيامه بالاستقلال بأيرلندا بعيدًا عن إنجلترا، وعقب تأكده من نجاح الغزو النورماني على أيرلندا، وتأكد السيطرة على المدن الرئيسية؛ عاد هنري الثاني إلى إنجلترا في العام التاي (١١٧٢م)، بعدما اكتفى بلقب سيد أيرلندا، والاعتراف بسلطته الأسمية على العديد من الأجزاء داخل جزيرة أيرلندا[٢٥].

وهكذا نجح المغامرون الأنجلو- نورمان الذين كانوا من خيرة المقاتلين في السيطرة على العديد من المقاطعات والمدن الأيرلندية، على الرغم من المقاومة التي أبداها قادة تلك المدن الأيرلندية وشعوبها، الذين أنهكت الأحقاد القبلية والحروب الأهلية قوتهم، فنتيجة لقلة الدروع الواقية للأجسام جعلت الأيرلنديين يقعوا فريسة سهلة أمام فئات من الجند النورمان المدربين على القتال في أكبر الميادين في ذلك العصر، الأمر الي سهل سقوط المدن الأيرلندية بما في ذلك المدن التي كانت تحت سيطرة الدانيين والنرويجيين في أيد الأنجلو نورمان[٢٦].

٢- موقف القوي السياسية من تمدد الاستعمار الإنجليزي داخل أيرلندا (١١٧٢-١٣٠٧م):

مرت العلاقة بين التاج الإنجليزي وأيرلندا وشعبها عقب بداية الفتح عام ١١٧١م بعدة مراحل، شملت المرحلة الأولى الفترة من عام ١١٧٢ حتى عام ١٢٧٢م، واتسمت بقيام التاج الإنجليزي والقادة التابعين له بتنظيم الفتح وتمديد حركة الاستعمار داخل أيرلندا، مرورًا بمرحلة القوة للوردية الإنجليزية داخل أيرلندا حتى عام ١٣٠٧م تبعها مرحلة التراجع والضعف وكثرة النزاعات الاستقلالية ضد الحكم الإنجليزي، التي شملت الفترة حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي.

ومن ثم ففي الواقع أن الفتح الإنجليزي للجزيرة لم يكن مكتملاً، حيث ظلت الأجزاء الشمالية والغربية تحت سيطرة الأمراء الأيرلنديين، وحتى داخل الأجزاء التي سيطر عليها الإنجليز لم يستطيعوا فرض الطابع الإنجليزي، وصار الفاتحون طبقة أرستقراطية تتسم بالصفات الإنجليزية والأيرلندية في نفس الوقت، ولم يكن يربط أيرلندا بإنجلترا سوى الحاكم الإنجليزي، الذى كان عليه تنفيذ أوامر الإدارة الإنجليزية، وأهمها جمع الضرائب من الإقطاعيين[٢٧].

وبداية فعلى الرغم من قيام الملك هنري الثاني بتوزيع غنائم الفتوحات على القادة الإنجليز؛ إلا أن أطماع القادة في الاستحواذ على المزيد جعل أيرلندا في ذلك الوقت مسرحًا مفتوحًا لسباق القراصنة (السادة الإقطاعيين)، ومن ذلك قيام ريموند لي جروس "Raymond le Gros" أحد قادة سترنجبو بمهاجمة مدينة كورك "Cork" لعدم رضائه بمنطقة كارلو، كما تم تهديد منطقة ليمريك Limerick، غير أن دونالد مور Donald More ملك مقاطعة ثوموند Thomond تصدى للنورمان، ونجح في استرداد منطقة ثورليس "Thurles" من أيديهم، ومن ثم كانت تلك بداية المقاومة الأيرلندية للوجود الإنجليزي، ومن ثم فلم يهنأ النورمان بالاستقرار طويلًا عقب أعمال الفتح عام ١١٧٢م، حيث تجددت المقاومة الأيرلندية ضد الحاميات العسكرية الإنجليزية، حتى قام لورانس أوتول Lorcán Ua Tuathail رئيس أساقفة دبلن بالوساطة بين الطرفين، فتم عقد معاهدة وندسور Windsor في ١٥ أكتوبر عام ١١٧٥م[٢٨].

وقد تضمن نص المعاهدة مفردات ومعاني أكدت على سعي ملوك إنجلترا لفرض كلمتهم على أراضي أيرلندا وقادتها المحليين، وكذلك تحقيق أكبر استفادة مادية من ممتلكاتهم داخل أيرلندا، ومن ذلك مخاطبة الحاكم الأيرلندي روري (رودريك) أوكونور Rory O'Connor بلقب "الوكيل" عن الحكم الإنجليزي داخل أيرلندا، والتأكيد على ضرورة دفع الجزية المقررة على أيرلندا وحكامها وشعبها[٢٩].

كذلك اعترف الحاكم الأعلى في أيرلندا روري (رودريك) من خلال الاتفاقية بحق هنري في الأراضي التي قام باحتلالها الإنجليز، في شرق وشمال أيرلندا، ومنها ميث ولينستر ودبلن ووترفورد ووكسفورد، في مقابل اعتراف الإنجليز وعلى رأسهم الملك هنري بأكونور ملكًا على مقاطعة كونوت Connaught علاوة على بقية الأراضي الأيرلندية غير المحتلة في مقابل دفع جزية سنوية للملك هنري، الذي قام بتنظيم الأراضي المحتلة وحكومتها على النظام الإقطاعي الإنجليزي[٣٠].

ولكي يحتفظ روريديك بمنصبه وأملاكه عليه أن يطيع أوامر ملك إنجلترا، ويعمل على اخضاع بقية أقاليم أيرلندا وسكانها تحت الحكم الإنجليزي، ويعترف بسلطة إنجلترا على كل أيرلندا، ويسعى لفرض كلمتها وجمع الجزية وتسليمها لملوكها، وخول ملك إنجلترا للحكام الأيرلندي رودريك كامل السلطة في فرض كلمته وكلمة إنجلترا على جميع القادة داخل أيرلندا، وفي حالة تمرد أحد القادة المحليين وخالف أوامر ملك إنجلترا وروديريك ورفض دفع الجزية وأية حقوق أخرى مقررة، وأعلن عدم ولائه لملك إنجلترا، فيجب على رودريك محاكمتهم وعزلهم من مناصبهم وأملاكهم، وإذا تعذر عليه ذلك تقوم قوة من شرطة إنجلترا المتواجدة على أرض أيرلندا بمساعدته في فرض كلمته وتنفيذ السياسة[٣١].

ومن ثم فلم تنهي هذه المعاهدة حالة العداء بين الجانبين الأيرلندي والإنجليزي، فمن جانبه لم يستطع هنري الثاني كبح جماح باروناته، الذين شنوا حملات عسكرية ضد مناطق الشمال بدءً من عام ١١٧٦م، وكذلك ضد مملكة كونوت وملكها روري، الذي لم يستطع التصدي لهذا الهجوم، وفشل في قيادة المقاومة الأيرلندية؛ الأمر الذي أدى إلى ثورة الأيرلنديين ضده، وعلى رأسهم ابنه كونكوبار Conchobar، وانتهى الأمر بعزله عام ١١٨٣م، وخلفه في قيادة الأيرلنديين ابنه كونكوبار، الذي استمر في المقاومة حتى تم اغتياله – *ربما على يد الإنجليز* – عام ١١٨٩م، وتعشم الأيرلنديون خيرًا في قيادة أخيه كاثال Cathal للمقاومة من بعده، الذي نجح في استرداد قلعة منستر، غير أن الخلافات التي كانت دائمًا تشتعل بين الأيرلنديين أنفسهم أدت إلى عزل كاثال من الحكم عام ١٢٠٠م[٣٢].

وبالتالي فإن هذه الفترة شهدت نجاح النورمان الإنجليز في السيطرة على ثلاثة أرباع جزيرة أيرلندا، على الرغم من تفوق مقاومة سكان أيرلندا الأصليون في العدد؛ إلا أن الإنجليز تفوقوا في الخبرة والتكيتكات العسكرية، وعلى ذلك حكم قادة النورمان المناطق الرئيسية من أيرلندا، حيث سيطر حنا دي كورسي John de Courcy على مملكة أوليديا Ulidia، وريتشارد دي بورج Richard de Burgo، حكم مملكة كونوت، وكذلك هيو دي لاسي سيطر على حكم ميث، بينما سيطر العديد من العائلات النورمانية على عدد من المقاطعات الأيرلندية ومنها منستر، واتسمت تلك المرحلة بقيام الإنجليز ببناء العديد من المدن والمعاقل والقلاع، مثل كاريكفيرجس Carrickfergus ودندروم Dundrum وكارلينجفورد Carlingford، التي أصبحت مراكز عسكرية لحماية الفتوحات[٣٣].

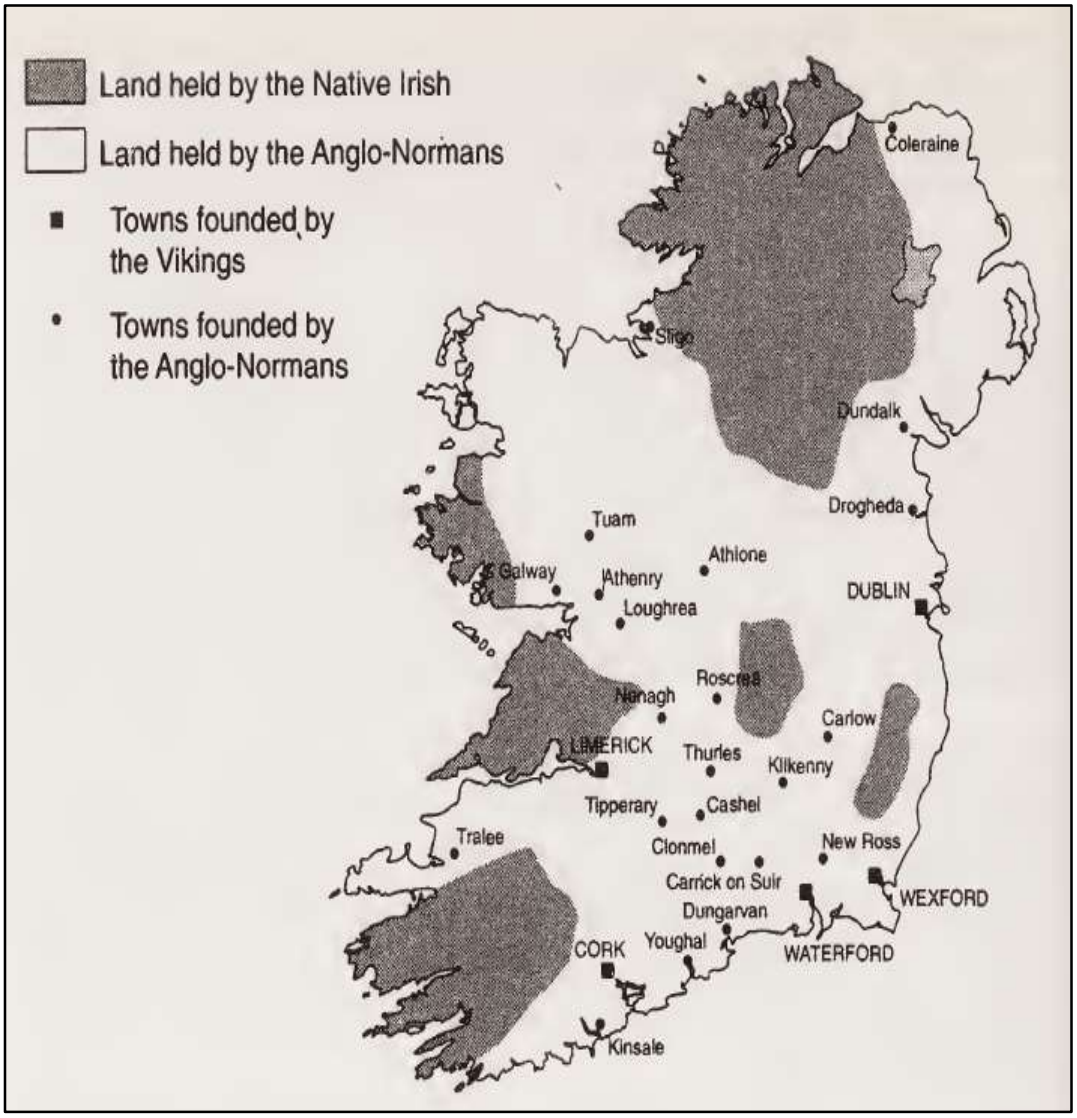

التوسع الإنجليزي داخل إيرلندا[٣٤].

والواقع أن الإنجليز النورمانديون لم يجلبوا معهم إلى أيرلندا جيشًا قويًا – بشكل تقليدي – فحسب، ولكنهم أيضًا جلبوا معهم هيكل تنظيمي وقانوني نورماندي بريطاني، متمثل في قانون عام قائم على الملكية الشخصية للأرض، وليس كما هو الحالي مع قانون "بريون" Brehon الأيرلندي، الذي يمنح الملكية لعائلة ممتدة أو عشيرة (قبيلة)، ومن ثم ولحماية أراضيهم وتنفيذًا لقوانينهم البريطانية قام الإنجليز ببناء العديد من القلاع والتحصينات العسكرية داخل أيرلندا، وعلى رأسها قلعة دبلن، التي خطط لها أن تصبح المقر الرئيسي للحكومة الإنجليزية عام ١٢٠٤م، وعلى الرغم من ذلك فإن السيطرة الإنجليزية على الأراضي

الأيرلندية وشعبها كانت سيطرة جزئية، حاولت من خلالها الحكومة الإنجليزية وممثليها من العسكريين والنبلاء وضع العديد من القوانين التنظيمية، وخاصة تلك المتعلقة بتزيع الأراضي وجمع الضرائب وبناء التحصينات، واستمر الوضع كذلك حتى عهد الملك الإنجليزي هنري الثالث (١٢١٦ – ١٢٧٢م)، حيث تم انشاء برلمان في أيرلندا مشابه للبرلمان الإنجليزية عام ١٢٦٤م، واستمر تنظيمه حتى أصبح يمثل عدد من الطوائف داخل أيرلندا عام ١٣٠٠م خلال عهد الملك إدوارد الأول (١٢٧٢ – ١٣٠٧م)[٣٥].

وبالتالي فإن محاولات الحكومة الإنجليزية وعلى رأسها الملك حنا (١١٩٩ – ١٢١٦م) نحو توحيد أيرلندا تحت سيادة إنجليزية تتسم بأسس الحكومة المدنية، ومرتبطة بالتاج الإنجليزي، قد حققت نجاحًا ملموسًا وظاهرًا، فيما عدا ما يتعلق باستكمال السيطرة على مناطق الأطراف، فعلى الرغم من انقسام الأيرلنديين وفقًا للأنماط التقليدية، مثل النفعية السياسية، والمكاسب الإقليمية، والتفوق العسكري؛ فإن هذا التقسيم لم يكن تقسيمًا عنصريًا بشكل واضح، ومن ثم فقد تم دمج العديد من قادتهم بانتظام مع القوات الإنجليزية داخل أيرلندا، وفي الوقت نفسه فإن البارونات الإنجليز قد دأبوا على اتخاذ مواقف متعارضة مع حلفائهم الأيرلنديين، في محاولة منهم للفوز بالممتلكات من الأراضي والسيطرة عليها[٣٦].

وكرد فعل لذلك تزايدت الثورات ضد الوجود الإنجليزي داخل أيرلندا منذ تولى الملك حنا حكم إنجلترا عام ١١٩٩، وخاصة داخل الأراضي الحدودية على الأطراف، فمن المعرفو أن أراضي أيرلندا في ذلك الوقت انقسمت إلى قسمين: الأول منها الذي نجحت فيه الحكومة الإنجليزية والنبلاء الإنجليز في السيطرة عليه، وعرف بأرض السلام، والقسم الآخر وهى الأراضي التي كانت محل نزاع بين الحكومة الإنجليزية وأتباعها من البارونات وبين الحكام الأيرلنديين، وهى التي عرفت اصطلاحًا بـ "أرض الحرب" أو أرض النزاع[٣٧].

وفي الحقيقة أن سياسة التاج الإنجليزي لم تكن هي المحرك الوحيد للأحداث داخل أيرلندا، فقد شارك البارونات الإنجليز بطموحاتهم وتطلعاتهم في هذا الأمر، حتى أنهم هددوا سيادة الملك الإنجليزي نفسه، وعلى رأس هؤلا كل من: ثيوبالد والتر Theobald Walter ووليام بيرج William de Burgh وحنا كورسي John de Courcy هيو لاسي الإبن Hugh de Lacy، الذين حاولوا مرارًا وتكرارًا مد سلطتهم نحو السيطرة على المزيد من منطاق النزاع مع الحكام الأيرلنديين، ومد حدود أراض السلام على حساب أرض الحرب، غير

أن حكومة الملك حنا – وكما سبق ذكره – جعلت من "دبلن" مركزًا لها داخل أيرلندا منذ عام ١٢٠٤م؛ انطلق منه نحو بسط سلطانه على أرض أيرلندا ومن عليها من الأيرلنديين والإنجليز، وذلك من خلال عدد من الموظفين ونظام السجلات، والعمل على تطوير الحكم المحلي، وفرض القانون الإنجليزي داخل أيرلندا، وذلك من خلال نظام قضائي، على رأسه كبير القضاة، الذي كان يحكم الأراضي الإنجليزية في أيرلندا ويرأس الجيش باسم الملك، ويسك العملة باسم الملك حنا، وهو حق قديم للملك حنا في مناطق دبلن وليمريك وواترفورد، واستمر ذلك طوال الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي[٣٨].

غير أن الأوضاع داخل أيرلندا شهدت تطورًا ترتب عليه زيادة التوتر السياسي بيم القوي السياسية الفاعلة داخل أيرلندا، وخاصة بين أتباع الملك والبارونات الإنجليز، أو من قبل الحكام الأيرلنديين ضد الحكومة الإنجليزية وباروناتها، وبدأ الأمر بقيام الملك بتعيين القضاة كل من يوحنا جراي John de Gray وهنري لوندريس Henry de Londres، وكانا رأس حربة للمك، بدأ من خلالهما السيطرة على الإقطاعيات الكبرى داخل أيرلندا، وفي المقابل كان البارونات الإنجليز ومنهم حنا كورسي، الذي قام بسك عملة معدنية خاصة به في أولستر، وفي دونباتريك Downpatrick وفي كاركفيرجس Carrickfergus، وأطلق على نفسه أمير أولستر princeps Ulidiae، وللتخلص من طموح الأخير استعمل الملك حنا الطموح هيو لاسي الابن، ومنحه أيرلية أولستر عام ١٢٠٥م، وفي المقابل ظهرت قوة أحد أقوى البارونات الإنجليز ويليام مارشال William Marshal على مسرح الأحداث، الذي زادت قوته بزواجه من السيدة إيزابيلا دي كلير Isabella de Clare، وريثة "سترنجبو"، في العديد من الممتلكات في إنجلترا، وكذلك في أيرلندا مثل لينستر Leinster، حيث وقع في صدام مع الملك حنا، ووصل إلى أيرلندا عام ١٢٠٦م، واستمر يباشر أملاكه بالنيابة عن زوجته حتى عام ١٢١٢م، ودخل في صدام مع ممثل الملك حنا في أيرلندا، الذي قام بتقليص امتيازات وليام مارشال ومعه والتر دي لاسيWalter de Lacy ، وكذلك العديد من الحكام الأيرلنديين، وعلى رأسهم أو كونور O Connor [٣٩].

ويعتقد البعض أن ثمة مؤامرة قد جهزت وحيكت ضد الملك حنا في أيرلندا، يقودها والتر دي لاسي، وذهب البعض على أن الملك الفرنسي فيليب الثاني Philip II (١١٨٠ – ١٢٢٣م) هو المدبر والراعي لهذه المؤامرة، وأمام ذلك شعر الملك حنا بالخوف فعبر بعدد من

قواته البحر متجهًا إلى أيرلندا، ووصل إلى وترفورد Waterford في ٢٠ يونيو عام ١٢١٠م، حيث مكث قرابة تسعة أسابيع في أيرلندا، تمكن خلالها من فرض قبضته على ميث وأولستر، وفر هيو دي لاسي، وتصالح وليام مارشال مع الملك، ورافقه في الحملة، كذلك استسلم العديد من الحكام والملوك الأيرلنديون وفي مقدمتهم أو كونور وانضموا إلى جيش الملك حنا، واتجهوا ناحية كاريكفرجس في أولستر، ومن ثم كانت الحملة بأكملها بمثابة انتصار دبلوماسي وعسكري للملك حنا، أعاد من خلاله الاستقرار والأمن والسيطرة، وكان قد جلب معه خبراء قانونيون، وخلال تواجده في دبلن أصدر ميثاقًا دستوريًا، ينص على مراعاة القانون العام لإنجلترا داخل أيرلندا، وأقسم علي مراعاته كبار الشخصيات، وربما يكون هذا الميثاق تمهيدًا لميثاق الماجنا كارتا Magna Charta أو العهد الأعظم الذي صدر في عام ١٢١٥م، الأمر الذي عزز سلطة الحكومة الملكية في أيرلندا على حساب القوى الرئيسية[٤٠].

وبحلول منتصف القرن الثالث عشر، أصبح الجزء الأكبر من الجزيرة تحت السيطرة النورماندية.

وأن أسلحة النورمانديين المتفوقة ومهاراتهم في بناء تحصينات يمكن الدفاع عنها بسهولة وذكائهم التكتيكي جعلتهم لا يقاومون – بالمعنى السلبي – للقوات المحلية. وفي الوقت نفسه، كانت المجموعات الأخيرة منخرطة في كثير من الأحيان في صراعات ضروس منهكة، مما جعلها قادرة على تقديم مقاومة حقيقية قليلة أو معدومة[٤١].

من الواضح أن النظام الملكي كان حريصًا على إظهار مدى نفوذه بحلول هذا الوقت. ففي عام ١٢٥٤، أعطى هنري الثالث (١٢١٦-١٢٧٢) أيرلندا (مع مناطق أخرى) لوريثه، إدوارد الأول (١٢٧٢-١٣٠٧)، معلنًا ضمها إلى التاج بشكل غير قابل للتصرف. وكان من الواضح أن النورمانديين أرادوا تعزيز سيطرتهم. وهناك الكثير من الأدلة التي تشير إلى أنهم كانوا على الطريق الصحيح لتحقيق ذلك. وبحلول منتصف القرن كانت هناك ثماني مقاطعات في أيرلندا، ولما كان الملك هنري كسابقيه من ملوك إنجلترا؛ فيما يتعلق بعدم تواجده بصفة مستمرة في أيرلندا؛ – *ربما يعود ذلك لاشتعال الحرب الأهلية بينه وبين النبلاء الإنجليز بقيادة سيمون دي مونتفرات، الذي انتهى بفرضهم قرارات أكسفورد على الملك هنري عام ١٢٥٤م* – فقد أناب عنه حاكم بدرجة مستشار Justiciar أو قاضي القضاة، وهو مسؤولاً عن إدارة الكولونية الإنجليزية وحماية مصالح الملك، وكانت إحدى المهام الرئيسية له هي الدعوة

للاجتماعات أو البرلمانات الكبرى، وقد عُقدت أول اجتماعات موثقة بوضوح في يونيو ١٢٦٤م في كاسلدرموت Castledermot[٤٢].

وبنهاية حكم الملك هنري الثالث هدأت الأوضاع السياسية داخل إنجلترا على عهد إدوارد الأول (١٢٧٢-١٣٠٧م)، وكذلك تخلصت إنجلترا من المشاكل الأوربية، فاستطاعت أن تسهم في تنمية التجارة الأيرلندية، وتوسعت في تطبيق التنظيم الإقليمي بين قبائل الأيرلنديين؛ وكان ذلك النظام في الواقع أهم الصادرات السياسية الإنجليزية في العصور الوسطى. ولو كان فى الإمكان أن تبقى الحال على ذلك المنوال الهادىء، وأن يظل الإنجليز على توغلهم السلمى قرناً من الزمان، لتحققت الوحدة بين إنجلترا وأيرلندا - أكبر الظن - أتم تحقيق، وأدى نمو عدد المهاجرين الإنجليز وتأثيرهم إلى زيادة الاستياء الأصلي بين الأيرلنديين، والذي تفاقم بسبب جهود إدوارد الأول لإدخال القانون والمؤسسات الإنجليزية[٤٣].

٣-النزعات الاستقلالية ضد الحكم الإنجليزي داخل أيرلندا حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي:

وهكذا فعلى الرغم من كل أنظمتهم وهياكلهم المثيرة للإعجاب، لم يتمكن النورمان أبدًا من التغلب على الأيرلنديين بشكل كامل، فبحلول عام ١٢٥٠م تقريبًا، كانت ثلاثة أرباع أيرلندا تحت سيطرة النورمان، لكنهم ببساطة لم يتمكنوا من إنهاء المهمة. وأحد الأسباب الرئيسية لهذا الوضع الغريب هو أن الملوك الإنجليز بدأوا يهتمون بشكل أقل بما يجري في أيرلندا، في حين أن أولئك الذين تركوا في السلطة كانوا في كثير من الأحيان أكثر اهتمامًا بزيادة أملاكهم، على حساب مصالح النظام الملكي[٤٤].

وعلاوة على ذلك، فلم يكن هناك ما يكفي منهم في أيرلندا؛ وتركز السكان النورمانديون في لينستر وأجزاء من مونستر وانتشروا بشكل ضئيل في أماكن أخرى. وكما هو الحال مع الغزاة السابقين، بدأوا في الاختلاط مع أسلوب الحياة الأيرلندي، وخاصة خارج دبلن. لكن الأهم من ذلك كله هو ظهور مقاومة من قبل الأيرلنديين الأصليين بعد منتصف القرن الثالث عشر. على مدار القرن والربع التاليين، حدث شكل من أشكال "الانتعاش الغالي". لم تكن حملة موحدة أبدًا، ولكن تم استعادة الأراضي التي تم احتلالها شيئًا فشيئًا. تم تحقيق ذلك بشكل أساسي باستخدام الأسلحة والتكتيكات النورماندية وتوظيف مرتزقة اسكتلنديين يُطلق عليهم اسم Gallowglasses[٤٥].

ومن المعروف أن إنجلترا خلال عهد الملك إدوارد الثاني (١٣٠٧ – ١٣٢٧م) عاشت فترة من التدهور السياسي على المستويين الداخلي والخارجي، جاء على رأسها الهزيمة الشهيرة التي لحقت بالقوات الإنجليزية على يد القوات الشعبية الأسكتلندية بقيادة روبرت بروس Robert Bruce في بانوكبيرن عام ١٣١٤م، وما ترتب على ذلك من آثار سلبية على إنجلترا حاكمًا وشعبًا، وكانت بمثابة ضربة النهاية للوجود الإنجليزى فى إسكتلندا[٤٦].

فبحلول بداية القرن الرابع عشر، عادت معظم الأراضي إلى أيدي زعماء القبائل الغيلية؛ الذين استغلوا هزيمة إنجلترا في بانوكبيرن، ولكن؛ كانت هناك حاجة إلى حاكم قوي للقضاء على النورمان. وكان الرجل الذي تم اختياره هو إدوارد بروس Edward Bruce، شقيق روبرت بروس، ملك اسكتلندا (١٣٠٦-١٣٢٩م)[٤٧].

حيث لجأ بعض نبلاء أيرلندا إلى روبرت بروس ليخلصهم من الحكم الإنجليزي، وبالفعل وافق على خروج شقيقه إدوارد على رأس حملة إلى أيرلندا، ويأتي على رأس الأسباب التي دفعته للموافقة على هذا الأمر إمكانية توجيه ضربة موجعة لأملاك إنجلترا داخل أيرلندا، وأيضاً ليتمكن من تأسيس ملك جديد لأسرة بروس في أيرلندا، ويكون على رأسه شقيقه إدوارد بروس، حتى يصرف نظره بعيداً عن عرش أسكتلندا، ومن ثم خرج الأخير على رأس ستة ألاف مقاتل في مايو من عام ١٣١٥م، متوجهاً إلى أيرلندا، وهبط بجيشه في "كاريكفرجس" Carrickfergus، وانضم العديد من اللوردات الأيرلنديين وبعض الأنجلو نورمان إلى إدوارد بروس، واستطاع الأخير أن يحقق انتصارات عديدة على النبلاء الإنجليز، أعقبها تتويجه ملكاً على أيرلندا عام ١٣١٦م، ولكن نتيجة عدم كفاية خبرته السياسية فقد دخل في حرب مع الإنجليز في "دندالك" Dundalk في أكتوبر من عام ١٣١٨م، وانتهت المعركة بهزيمته ثم قتله[٤٨].

وبالرغم من النهاية المأساوية لإدوارد شقيق روبرت بروس، إلا أن النتائج التي حققها غزو أيرلندا كانت تلك الغزوة ضربة موجعة لإنجلترا المسيطرة على أيرلندا.

وعلى الرغم من ذلك يرى البعض أن غزو إدوارد بروس وشقيقه روبرت بروس لأيرلندا خلال الفترة (١٣١٥ – ١٣١٨م) قد نقل الحرب بين إنجلترا وأسكتلندا من الحدود الشمالية بين البلدين إلى أراضي أيرلندا، وبذا نكب الاثنان أيرلندا المنكوبة بحرب وحشية طاحنة، فذوت بشائر التقدم الأيرلندي قبل أن يستوى عودها الرطيب وانحسر النفوذ الإنجليزي

حتى أمسى قاصراً على إقليم ضيق بشرق أيرلندا، وتعطل فجأة ما جاء به قرن كامل من مقومات السلام. ومن ثم لم تشأ الأقدار أن تصلح شيئًا من تلك الكوارث، إذ صرفت حرب المائة عام أنظار الحكومة الإنجليزية عن أيرلندا – وحاجاتها التي لا تنتهى إلى السعي وراء الحصول على التاج الفرنسي، وما في ذلك السعي من مجد. واختفت أيرلندا في لجة من ضبابها الغربي الكثيف، حتى إذا كان القرن السادس عشر الميلادي، وحاول التيودريون فتح البلاد مرة أخرى للحضارة الإنجليزية، تعثرت محاولتهم بعقبة هائلة جديدة في ثنايا العقبات القديمة، إذ غدت إنجلترا تدين بالمذهب البروتستنتى، على حين ظلت أيرلندا ثابتة على الكاثوليكية[٤٩].

وخلال عهد الملك إدوارد الثالث (١٣٢٧-١٣٧٧م) ارتبطت العلاقة بين إنجلترا والقوى السياسية داخل أيرلندا بالمستجدات التي طرأت على السياسة الخارجية لإنجلترا؛ وعلى رأسها اشتعال حرب المائة العامة بين كل من إنجلترا وفرنسا، تلك الحرب التي سخر لها إدوارد الثالث ملك إنجلترا جميع مقدرات البلاد بما فيها المداخيل التي تأتي من المناطق المحتلة ومنها أيرلندا، وبالتالي كانت العلاقة بين أيرلندا والتاج الإنجليزي قائمة على أساس مصالح الملك الإنجليزي، فهو اللورد الأعلى عليها، ولكن السياسة التي اتبعها الملك ادوارد داخل الجزيرة والتي كانت تنم عن استغلال كافة مقدرات الجزيرة وتسخيرها لصالح الحرب ضد كلً من فرنسا وأسكتلندا، حيث تكرر فرض الضرائب وزيادتها من قبل الملك على شعب الجزيرة وخاصةً الإقطاعيين منهم، الأمر الذى أدى إلى حدوث الاضطرابات والثورة ضد تلك السياسة، التي أضرت في المقام الأول بمصالح النبلاء الأنجلو-أيرلنديين، وكانت البداية في عام ١٣٣١م، عندما عين الملك إدوارد الثالث أحد النبلاء وهو أنطونى لوسى Anthony Lucy، في محاولةٍ منه لفرض سيطرته على أيرلندا، وإعادة السلطة الملكية، ولكن أنطونى لوسى اتبع سياسة الشدة تجاه الإقطاعيين، مما اضطرهم إلى القيام بالثورة ضد الحكم الإنجليزي[٥٠].

أيرلندا خلال عام ١٣٣٠م[٥١].

ولما تكررت الثورة من قبل الأيرلنديين عام ١٣٣٥م، أرســـل إدوارد بعثة ملكية إلى الجزيرة، تهدف إلى إقرار الأوضاع وإجبار النبلاء على الاعتراف بسلطة الملك ودفع الضرائب المقررة[٥٢].

ولكن أهالي أيرلندا سواء الأصليين منهم أو الإنجليز الذين اختلطوا بهم كانوا قد سئموا الحكم الإنجليزي، وأرادوا التخلص منه، حيث قاموا بالثورة في عام ١٣٣٧م، مما اضطر إدوارد إلى إرسال حاكم جديد ومعه قوة عسكرية، ربما قصد إدوارد من خلالها استعراض القوة أمام النبلاء في أيرلندا(٥٣).

وأعقب ذلك حملة تطهير إدارية قام بها إدوارد الثالث داخل أيرلندا بين عامي ١٣٤٠-١٣٤١م، فرض من خلالها سلسلة من الإجراءات الصارمة، التى كان من شأنها تهديد مصالح النبلاء، ولم يكد ينتصف القرن الرابع عشر، إلآ وقد تقلصت المناطق الواقعة تحت السيطرة الإنجليزية، وانحصرت في الموانئ المطلة على إنجلترا وبعض البلدات الصغيرة(٥٤).

وفى عام ١٣٦١م أرسل الملك إدوارد ابنه الأمير ليونيل دوق كلارينس إلى أيرلندا على رأس قوة مكونة من ٢٠٠ فارس و٧٠٠ نبال، ومنحه كافة صلاحيات الحاكم، وكان الهدف من إرسال تلك القوة هو إجبار الإقطاعيين على دفع الضرائب لصالح التاج الإنجليزي، ومحاولة إصلاح الإدارة الأيرلندية، حيث قام الأمير بأسر زعيم المعارضة ماك موروج Mak Murrough، داخل مقاطعة لينستر Leinster، واستطاع السيطرة على مقاطعة ميونستر Munster، مما زاد من الإيرادات داخل الخزينة العامة، وقد سعى ليونيل، دوق كلارنس، ابن إدوارد الثالث، إلى ضمان الهيمنة الإنجليزية مع قانون كيلكيني الأساسي (١٣٦٦) الذي حظر الزواج مع الإيرلنديين وفرض استخدام اللغة الإنجليزية كخطاب للمستعمرين. ومع ذلك، ضعف التأثير الإنجليزي خلال القرن الرابع عشر على الرغم من أن ريتشارد الثاني ربما عكس هذا الاتجاه لو أن الثورة التي أدت إلى تنازله عن العرش لم تدعوه إلى بريطانيا. لم يول ملوك لانكاستر اهتمامًا كبيرًا لأيرلندا وتركوا حكمها للنبلاء الأنجلو-إيرلنديين في الغالب، على وجه التحديد لإيرل ديزموند وأورموند وكيلدير. في أحسن الأحوال، اقتصرت سلطة هؤلاء اللوردات على النصف الشرقي من الجزيرة مع استمرار سيطرة الزعماء الأيرلنديين على الغرب(٥٥).

وهكذا فإن سياسة إنجلترا داخل أيرلندا لم تهدف إلا لزيادة الأموال داخل خزانة الملك- وهذه هي سياسة المحتل دائماً- ولم يكن هناك نية واضحة للإصلاح السياسي والإداري، ويتضح ذلك جلياً بعد أن رفض البرلمان الأيرلندى منح الإعانة المالية للملك الإنجليزي عام ١٣٧٥م، أرسل الأخير على الفور سفيره الخاص نيكولاس داجوورث Nicholas

Dagworth، ليطلب من النبلاء ورجال الدين ضـــرورة انتخاب لجنة من بينهم، لحضـــور جلسات البرلمان الإنجليزي المنعقد، والتي سيرأسها الملك شخصياً، ولكن النبلاء رفضوا ذلك، وأصـــروا على عدم معاملتهم كجاليات مســـتعمرة، وعملوا على تأكيد الحريات والقوانين الأيرلندية(٥٦).

٤- أثر العلاقة بين القوى الأيرلندية والأسكتلندية على الحكم الإنجليزي داخل أيرلندا:

تعتبر أيرلندا أقرب البلدان لأســكتلندا من الناحية الجغرافية بعد إنجلترا، ومن ثم فقد كانت هناك عدة محاولات من قبل أمراء ونبلاء أســكتلندا للســيطرة على أجزاء من أراضـــي أيرلندا، وكما سبق القول فقد حاول إدوارد بروس شقيق روبرت بروس أن يقيم له مملكة داخل أيرلندا عام ١٣١٥م، وعلى الرغم من تتويجه ملكاً على أيرلندا عام ١٣١٦م؛ إلا أنه قتل في إحدى المعارك مع القوات الإنجليزية الموجودة داخل أيرلندا في شـــهر أكتوبر من عام ١٣١٨م(٥٧).

وبوجه عام فقد تأثرت العلاقات السياسية بين بطبيعة العلاقات السياسية بين إنجلترا وأسكتلندا، وأيضاً تأثرت بالوضع السياسي داخل البلدين (أيرلندا وأسكتلندا)، ومع نهاية عهد الملك روبرت بروس الأول كان هناك محاولات لإعادة العلاقات بين الجانبين، فنجد أنه في شـــهر يوليه من عام ١٣٢٨م قدم عدد من النبلاء الأيرلنديين وعلى رأســـهم وليام دى بوره William de Burgh أيرل أُلِسْـــتر Ulster إلى مدينة برويك بأســـكتلندا، وذلك من أجل حضـور زفاف ديفيد ولى عهد أسكتلندا بالأميرة جوانا شقيقة إدوارد الثالث ملك إنجلترا، ورداً على هذه المبادرة قام روبرت الأول بإرسال سفارة لمقابلة كبار لوردات أيرلندا، جاء على رأسها أيرل مينتيث Menteith ومعه عدد من لوردات أسكتلندا، وبالفعل وصلت تلك السفارة في أول شهر أغسطس من عام ١٣٢٨م إلى مدينة كاريكفرجس، وهناك أرسل أيرل مينتيث إلى قضاة وأعضاء مجلس مقاطعة أُلِسْتر برسالة، كان مفادها أنهم جاءوا لتحسين العلاقات بين البلدين، وإعادة الســـلام بين أســـكتلندا وأيرلندا، وطلبوا عقد اجتماع لهذا الغرض داخل قلعة "جرين" Greene (*أحد الموانئ التجارية التي تطل على الساحل الشمالي لأيرلندا*)، الواقعة في شـمال مقاطعة أُلِسْـتر، وبالرغم من ذلك فلم يكتب لهذه الخطوة النجاح، وذلك لعدم حضـور الجانب الأيرلندي الاجتماع داخل قلعة جرين، ومن ثم عاد السفراء الأسكتلنديون إلى بلادهم مرة أخرى في ١٥ أغسطس من نفس العام(٥٨).

ومما زاد من توتر العلاقات بين أيرلندا وأسكتلندا المشاريع التوسعية لإنجلترا على حساب أسكتلندا، التى تم إحياؤها مرة أخرى بداية من عام ١٣٣٢م، ولما كانت إنجلترا لها سيطرة جزئية على مساحات كبيرة من أراضى أيرلندا في تلك الفترة، وكان حكام أيرلندا يدينون بالولاء للملك الإنجليزي في كثير من الأحيان، فقد ساعد أولئك الحكام ملوك إنجلترا في حروبهم الخارجية وخاصة تجاه أسكتلندا، ومن ذلك ما قام به السير "حنا دارسى" Sir John Darcy أحد المسئولين داخل الحكومة الأيرلندية (*لورد العدالة*)، الذي لبى نداء ملك إنجلترا إدوارد الثالث خلال حربه ضد أسكتلندا عام ١٣٣٣م، وذلك أثناء حصار الأخير لمدينة برويك في جنوب شرق أسكتلندا، حيث تحرك السير "حنا دارسى" على رأس جيش كبير نحو أسكتلندا، وترك خلفه توماس بوره Thomas Burgh على حكم أيرلندا، وانضم السير "حنا دارسى" بقواته إلى جوار ملك إنجلترا إدوارد الثالث في حصار مدينة برويك، وطلب منه الأخير أن يشارك بقواته في حصار المدينة من الجانب الآخر، وظل في الحصار إلى أن سقطت المدينة في يد الملك إدوارد الثالث، وعقب سيطرة الأخير على الجنوب الأسكتلندى وسيطرة "إدوارد باليول" على عرش أسكتلندا عاد "حنا دارسي" مرة أخرى إلى أيرلندا(٥٩).

وعلى صعيد آخر كان للتقارب الجغرافي والعرقي بين الشمال الأيرلندي والجزر الغربية لأسكتلندا أثراً واضحاً على العلاقات السياسية بين البلدين، فبعد نجاح جهود الأمراء المحليون في نضالهم ضد الوجود الإنجليزي، وتمكن العديد منهم في الاستقلال بأجزاء من شمال أيرلندا؛ أصبح حكام الشمال الأيرلندي يشكلون ملجأً وملاذاً لكثير من أيرلات جزر أسكتلندا الغربية، الذين أعلنوا التمرد على ملوك أسكتلندا، وربما يعود ذلك للمساعدات التي أحياناً كان يقدمها ملوك أسكتلندا لصالح الحكام الإنجليز في أيرلندا ضد الأمراء المحليين، ومن ذلك ما حدث خلال عام ١٣٦٤م، عندما وافق الملك ديفيد الثاني على تقديم المساعدة للحاكم الإنجليزي في أيرلندا خلال الحرب، وذلك بموجب الاتفاق الذى عقد بين ملك أسكتلندا وإدوارد الثالث ملك إنجلترا(٦٠).

الخاتمة :

من خلال العرض السابق لموضوع البحث "القوى السياسية وموقفها من الحكم الإنجليزي داخل أيرلندا حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي" يتضح العديد من النتائج، يأتي من أهمها:

١- كان للموقع الجغرافي لأيرلندا الدور الرئيسي لوضعها على رأس أولويات الملوك الإنجليز ضمن خططهم التوسعية خارج إنجلترا، كما جرى الحال في كل من أسكتلندا وويلز وفرنسا، وأخيرًا أيرلندا، فعلى الرغم من وجود البحر الأيرلندى كحد فاصل بين البلدين من الجهة الغربية؛ إلا أن العديد من الجزر وعلى رأسها جزيرة مان مثلت جسر من الربط بين البلدين.

٢- يعد الغزو الإنجليزي لأيرلندا سلسلة من سلاسل الغزو الذي تعرضت له أيرلندا في عصورها القديمة والوسطى، وبالرغم من ذلك فلم يستطع أحد الغزاة أن يخضعها لحكمه لفترات طويلة، ولذلك لم يحن للأيرلنديين فرصة يبنون فيها حضارة مستمدة من وحي تفكيرهم وشعورهم، ولم تحملهم حادثة من الحوادث على الرضوخ لأجنبي يكون أكثر منهم قوة وأحسن ثقافة؛ لذا ظل هذا الشعب يطوى القرون تلوا القرون من تاريخه وأيرلندا لا يقربها إلا أشباه الفاتحين.

٣- كان من أهم الدوافع التي حدث بملوك إنجلترا على احتلال أيرلندا، والعمل على استمرارية فرض السيطرة عليها، هو توفير أملاك جديدة للنبلاء والبارونات الإنجليز، للخفيف من وطأة الحرب الأهلية التي كانت تشتعل فيما بينهم، وكذلك كانت محاولة لابعادهم عن الصدام مع التاج الملكي وأملاكه، علاوة على استخدام ملوك إنجلترا ذلك الأمر كورقة ضغط على النبلاء داخل البرلمان الإنجليزي؛ من أجل تمرير القوانين وفرض الضرائب.

٤- لم يكن الفتح الإنجليزي للجزيرة مكتملاً، حيث ظلت الأجزاء الشمالية والغربية تحت سيطرة الأمراء الأيرلنديين، وحتى داخل الأجزاء التي سيطر عليها الإنجليز لم يستطيعوا فرض الطابع الإنجليزي، وصار الفاتحون طبقة أرستقراطية تتسم بالصفات الإنجليزية والأيرلندية في نفس الوقت، ولم يكن يربط أيرلندا بإنجلترا سوى الحاكم الإنجليزي، الذى كان عليه تنفيذ أوامر الإدارة الإنجليزية، وأهمها جمع الضرائب من الإقطاعيين.

٥- شهدت الفترة التي تلت الفتح النورماندي (الإنجليزي) لأيرندا عام ١١٧١م نجاح النورمان الإنجليز في السيطرة على ثلاثة أرباع جزيرة أيرلندا، على الرغم من تفوق

مقاومة سكان أيرلندا الأصليون في العدد؛ إلا أن الإنجليز تفوقوا في الخبرة والتكيتكات العسكرية، وعلى ذلك حكم قادة النورمان المناطق الرئيسية من أيرلندا.

٦- لم يجلب الإنجليز النورمانديون معهم إلى أيرلندا جيشًـــا قويًا – بشـــكل تقليدي – فحسـب، ولكنهم أيضًـا جلبوا معهم هيكل تنظيمي وقانوني نورماندي بريطاني، متمثل في قانون عام قائم على الملكية الشخصية للأرض.

٧- على الرغم من قيام القوي الحاكمة في أيرلندا بالعديد من محاولات الثورة والنزعات الاسـتقلالية ضـد الحكم الإنجليزي؛ إلا أن الأمر لم يتخذ صـورة المقاومة الشـعبية للمحتل، وإنما في كثير من الأحيان كانت تلك النزعات الاســتقلالية من أجل الدفاع عن مصالح النبلاء الأيرلنديين، ويأتي دليلاً على ذلك تعدد التحالفات فيما بينهم وبين النبلاء الإنجليز، أو حتى فيما بينهم وبين الملوك الإنجليز أنفسهم.

الهوامش

1-Giraldus Cambrensis, *The History and topography of Ireland,* (London, Penguin books, 1982), pp.34-35; Raphaell Holinshed, *Holinshed's chronicles of England, Scotland and Ireland,* vol. VI (Ireland), (London: Longman, 1808), pp.1-2; Joseph Dahmus, *Dicionary of medieval civilization,* (London: Collier Macmillan Publishers, W.D.), 386.

وأنظر، بشارة كنعان، *العالم الإنكليزي*، (القاهرة: مطبعة هندية، د.ت)، ص ٢٧.

2-Cambrensis, *History and topography of Ireland,* pp.35-38; Holinshed, *Holinshed's chronicles,* vol. VI, p.8;

وأنظر، بشارة كنعان، *العالم الإنكليزي*، *ص* ٢٧-٢٨.

3-Cambrensis, *History and topography of Ireland,* pp.53-55; Holinshed, *Holinshed's chronicles,* vol. VI (Ireland), pp.8-10; Ian Cantwell, *Climate in medieval Ireland,* (Dublin: MSc., Department of Archaeology and Paleoecology, Trinity College, 2000), pp.109-148;

وأنظر، بشارة كنعان، *العالم الإنكليزي*، ص ٢٨.

4-Cambrensis, *History and topography of Ireland,* pp.92-100; Holinshed, *Holinshed's chronicles,* vol. VI (Ireland), pp.1-2; James Lydon, *The making of Ireland,* (London, 1998), pp.1-2.

٥- *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ق٢، ترجمة محمد مصطفى زيادة وأخرون، (القاهرة: دار المعارف ١٩٥٤)، ص ٣٠٩.

٦ - فشر، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ق٢، ص ٣٠٩.

7-Lydon, *The making of Ireland,* p.2;

وأنظر، فشر، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ق٢، ص ٣٠٩.

٨ - القديس باتريك، هو مؤسس الكنيسة الأيرلندية، ولد من أبوين مسيحيين في بريطانيا في أواخر الفترة الرومانية، وعرف باسم سوكات Succat، وقد وقع في الأسر على يد القراصنة الأيرلنديين الكلت وهو في سن السادسة عشر من عمره، وقضى في الأسر داخل أيرلندا ست سنوات، فر بعدها إلى غاليا (فرنسا)، وتلقى تعاليمه الدينية هناك، فالتحق سوكات بدير مدينة ليرنس Lérins وترهب، وأصبح حجة في الدين والرهبنة، وعرف منذ ذلك الوقت باسم باتريك، ورقى في سنة ٤٣٢ إلى درجة الأسقف، ، ثم أرسل في بعثة تبشيرية إلى أيرلندا ليقوم بنشر المسيحية بين ربوعها، حتى توفي عام ٤٦١م:

C.F: Dahmus, *Dictionary of medieval civilization,* p.548;

وأنظر، نظير حسان سعداوي، تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٨)، ص ٢٣-٢٤؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ج١ (التاريخ السياسي)، ط١، (القاهرة: مطبعة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣)، ص ١٨٥-١٨٦.

9-Lydon, *The making of Ireland,* pp.3-4;

وأنظر، سعيد عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ج١، ص١٨٦.

10 -Holinshed, *Holinshed's chronicles,* vol. VI (Ireland), p.9.

١١- عبدالقادر أحمد اليوسف، *العصور الوسطى الأوروبية ٤٧٦ – ١٥٠٠*، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٧)، ص ١٨٣؛ سعيد عاشور، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ج١، ص ١٨٦-١٨٨؛ فشر، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ق٢، ص ٣٠٩.

١٢- عبدالقادر اليوسف، *العصور الوسطى الأوروبية*، ص ١٨٣؛ فشر، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ق٢، ص ٣٠٩؛ سعيد عاشور، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ج١، ص ٢٣٦-٢٣٧.

١٣- سعيد عاشور، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ج١، ص ٢٣٧-٢٤٠.

١٤- للمزيد عن الفتح النورماني لإنجلترا من قبل وليام الفاتح الفرنسي من خلال معركة هستنجز عام ١٠٦٦م، وما ترتب عليه من نتائج داخل إنجلترا وبريطانيا بصفة خاصة وأوربا بصفة عامة، أنظر" محمد محمد مرسي الشيخ، الفتح النورماني لإنجلترا – ملحمة فريدة في تاريخ إنجلترا، *ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، جامعة عين شمس، المجلد الثاني، القاهرة ١٩٨٣م*، ص ٢٣٧-٢٥٨؛ سعيد السيد علي فرغلي، مظاهر اضمحلال حكم الأنجلوسكسون في إنجلترا ٨٠٢ – ١٠٦٦م، *مجلة كلية الآداب - جامعة المنوفية، المجلد ١١٩، المنوفية ٢٠١٩*، ص ١٨١٣-١٨٨٠.

١٥ - فشر، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ق٢، ص ٣٠٩.

١٦- هو مسمى ملوك عائلة البلانتاجينت النورمانية الإنجليزية، التي حكمت إنجلترا وممتلكاتها داخل بريطانيا وفرنسا خلال الفترة من عام ١١٥٤م حتى عام ١٣٩٩م، وسموا بهذا الإسم نسبة إلى حشيشة كان يضعونها في تيجانهم، وقد بدأ حكم هذه الأسرة بتولي الملك هنري الثاني عام ١١٥٤ حتى نهاية حكم الملك ريتشارد الثاني عام ١٣٩٩م،

C.F: Joseph Dahmus, *Dictionary of medieval civilization,*p.566;

وأنظر، بشارة كنعان، *العالم الإنكليزي*، ص ٧١.

17-The Four of masters, *Annals of the kingdom of Ireland,* trans. by John O'Donovan, Vol. II, (Dublin: Hodges, Smith, and Co., 1856), pp.1081-1091; Dáibhí Ó Cróinín, *Early medieval Ireland 400–1200,* (London: Routledge, 2013), p324.

18-The Four of masters, *Annals of the kingdom of Ireland,* Vol. II, pp.1091-1161; Dáibhí Ó Cróinín, *Early medieval Ireland,* pp. 325-326.

19-Edmund Curtis, *A History of Ireland,* (London, Routledge, 2002), p.46.

20-Annals of Kingdom of Ireland, p.5; *Annales Hiberniae ex libro Rossensi,* ed. Butler (R.), (Duplin, 1849), p.14; *The Annals of Loch CÉ, A Chronicle of Irish Affairs,* 2 vols., ed. and trans. by Hennessy (W.), (London, 1871), vol.I, pp.141-

143; Edmund Curtis, *A History of Ireland,* p.45.

٢١ - فشر، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ق٢، ص ٣٠٩.

22-Giraldus Cambrensis, *The Conquest of Ireland,* Trans by Thomas Forester, ed. by Thomas Wright, (Cambridge, Parentheses publications, 2001), pp.12-13;

وأنظر، نظير سعداوي، تاريخ إنجلترا وحضارتها، ص ٩٠.

23-Giraldus Cambrensis, *The Conquest of Ireland,* pp.14-15; Joseph Coohill, *Ireland A short history,* (London: Oneworld, 2014), p.13.

24-Giraldus Cambrensis, *The Conquest of Ireland,* pp.15-34; John Ranelagh, *A short history of Ireland,* (Cambridge: Cambridge University press, 1983), pp.36-37.

25-Giraldus Cambrensis, *The Conquest of Ireland,* pp.34-44; Constantia Maxwell, *A short history of Ireland,* (New York: Frederick A. Stokes Co., 1983), pp.15-16.

٢٦- فشر، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ق٢، ص ٣١٠.

27-*Annals of Kingdom of Ireland,* p.5; *Annals Hibrenai,* p.14; *Annals of Loch CE., vol.I,* pp.141-143.

28-Giraldus Cambrensis, *The Conquest of Ireland,* p.44; Dáibhí Ó Cróinín, *Early medieval Ireland,* p.328.

29- Treaty of Windsor, 1175, available at https://en.wikisource.org/wiki/Treaty_of_Windsor, Exported from Wikisource on November 15, 2022.

30-Giraldus Cambrensis, *The Conquest of Ireland,* pp.45-46; Dáibhí Ó Cróinín, *Early medieval Ireland,* pp.328-329; Treaty of Windsor, 1175, available at https://en.wikisource.org/wiki/Treaty_of_Windsor, Exported from Wikisource on November 15, 2022.

31- Treaty of Windsor, 1175, available at https://en.wikisource.org/wiki/Treaty_of_Windsor, Exported from Wikisource on November 15, 2022.

32-The Four of masters, *Annals of the kingdom of Ireland,* vol. III, pp.23,27-35,39,41-45,49,55-59; F. J. M. Madden, *The history of Ireland,* (London: Hodder Headline, 2005), p.9.

33-F. J. M. Madden, pp.9-10.

34-F. J. M. Madden, *The history of Ireland,* p.12.

35-John O'beirne Ranelagh, *A Short of Ireland,* (Cambridge, Cambridge University Press, 1990), pp.38-39.

36-Lydon, *The making of Ireland,* p.69.

37-Ibid.

38-Lydon, *The making of Ireland,* pp.69-70.

39-Lydon, *The making of Ireland,* p.70.

40-Lydon, *The making of Ireland,* pp.70-71.

41-F. J. M. Madden, *The history of Ireland,* p.11.

42-Ibid.

43-Lydon, *The making of Ireland,* p.72

44-F. J. M. Madden, *The history of Ireland,* p.11.

45-F. J. M. Madden, *The history of Ireland,* p.12.

46-Doc. 8 (A Scots Foray), in *A Source Book of English History,* ed. by Innes (A.D.), Vol.1, (Cambridge University Press, Cambridge 1912), pp.164-165; Hemingburgh (Walteri de), Chronicon domini Walteri de Hemingburgh, vol.2, (London, 1848), pp.294-295; Barbour (J.), *The metrical history of Robert the Bruce, king of Scots,* ed. and trans. Eyre (J.), (London, 1907), pp.216-236; The anonymous chronicle, ed. Steven (M.), (Glasgow, 1834), pp.2-6; Brown (M.), Bannockburn, 1307-1314, (Edinburgh, 2008), pp.117-125; Aguilar (G.), The Day of Bruce, vol.2, (NewYork, 1852), 215-225;

وأنظر: عبد القادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوربية، (المكتبة العصرية، بيروت١٩٦٨)، ص٢٦٧، راوس (أ.ل): التاريخ الإنجليزي، ص ٥٢؛ نظير حسان: تاريخ إنجلترا وحضارتها، ص١٠٧؛ لانجر (وليام) : موسوعة تاريخ العالم، إشراف محمد مصطفى زيادة، (القاهرة، ١٩٦٢)، ص.٧١٩.

47-F. J. M. Madden, *The history of Ireland,* p.12.

1Barbour (J.), pp.237-251; C.F: Doc.no.81(Supplies from leinster for wars with Scots and Irish), in *Historic and Municipal Documents of Ireland A.D. 1172-1320,* ed. Gilpert (J.), (London,1870), pp.320-358; Nicholson (R.), A Sequel to Edward Bruce's Invasion of Ireland, in *The Scottish Historical Review,* vol.42, (Edinburgh, 1963), pp.30-40.

٤٩ - فشر، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ق٢، ص ٣١١.

50-Clyn (F.J), *Annals of Ireland,* ed. by Butler (R.), (Dublin University Press, Dublin 1849), pp.22-23; *Annals of Kingdom of Ireland,* Op. Cit, p.549; *Annals Hibrenai,* Op. Cit, p.121; Holinshed (R.), vol.VI (Ireland), p.253; Lydon (J.), The Making of Ireland, (Routledge, London1998), pp.48,86,88.

51-Edmund Curtis, *A History of Ireland,* p.103.

1*Annals of Kingdom of Ireland,* Op. Cit, p.555; *Annals Hibrenai,* Op. Cit, pp.127,129; *Annals of Loch CE.,* vol.I, Op. Cit, p.621; Holinshed (R.), vol.VI (Ireland), Op. Cit, p.254; Frame (R.), English Officials and Irish Chiefs in the Fourteenth Century, in *English Historical Review, vol.90, No.357,* (Longman, London, October1975), pp.769-770.

52-*Annals of Ireland,* Op. Cit, p.28; *Annals of Kingdom of Ireland,* Op. Cit, p.561; Annals Hibrenai, Op. Cit, p.131; Annals of Loch CE., vol.I, Op. Cit, p.623; *Holinshed's Chronicles,* vol.VI (Ireland), pp.254-255; Lydon(J.), Op. Cit, p.89.

53- *Annals of Ireland,* Op. Cit, p.29; *Annals of Kingdom of Ireland,* Op. Cit, pp.569,571,573; *Annals Hibrenai,* Op. Cit, pp.133,135; *Annals of Loch CE.,* vol.I, Op. Cit, p.631; Holinshed (R.), vol.VI (Ireland), Op. Cit, p.255; Lydon (J.), Op. Cit, p.89.

54- Annals of Kingdom of Ireland, Op. Cit, pp.619,621; Annals Hibrenai, Op. Cit, pp.151,153; Annals of Loch CE., vol.II, Op. Cit, p.23; Holinshed(R.), vol.VI(Ireland), Op. Cit, p.258; Lydon(J.), Op. Cit, p.92; Frame (R.), Op. Cit, p757.

55-Annals of Kingdom of Ireland, Op. Cit, p.655; Annals Hibrenai, Op. Cit, p.155; Annals of Loch CE., vol.II, Op. Cit, pp.51,53; Holinshed (R.), vol.VI (Ireland), Op. Cit, p.258; Lydon (J.), Op. Cit, p.90.

56- Barbour (J.), Op.Cit, pp. 37-251; C.F: *Annales Hiberniae ex libro Rossensi,* ed.

57- Butler (R.), (Duplin, 1849), p.42; Duffy (S.), Medieval Scotland & Ireland, (Autumn, 1999), pp.17-19; Jackson (A.) Oxford the Tow Unions, Ireland, Scotland, (Oxford, 2012), p.31; Edmund Curtis, A History of Ireland, pp.77-80.

58- Grace (J.), Annales Hiberniae, ed. Butler (R.), (Dublin, 1842), pp.109,111; Maguire, (C.) and O'Cassidy, (R.), *Annals of Ulster,* vol.1, ed. Caethy, (P.), (Duplin, 1893), p.445; O'Clery (M.), and others, *Annals of the kingdom of Ireland,* vol.3, ed. Odononvan (J.), (Dublin, 1856); pp.539,541.

59- Campion (E.), *Historie of Ireland, in Ancient Irish Histories,* vol.2, ed. Ware (J.), (Dublin, 1809), pp.128-131; C.F: Clyn (F.), *The Annals of Ireland,* pp.24-25; Grace (J.), Op.Cit, pp.125,127,129; Dowling (Th.), *Annales Breves Hiberniae,* ed. Butler (R.), (Duplin, 1849), p.22.

60- Boece (H.), *The History and Chronicles of Scotland,* vol.1, ed and trans. by Bellenden (H.), (Edinburgh, 1821), vol.2, pp446-.447; C.F: O'Clery (M.), and others, Op.Cit, vol.3; pp.627,629; Barrell (A.), Medieval Scotland, (Cambridge, 2003), p.132 .